﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾

ولما وصل النبي ﷺ إلىٰ الكعبة ، وقف علىٰ بابها ، وألقىٰ خطبةً جامعةً مانعةً ، تحدّث فيها عن جانب من حقوق الإنسان ، جاء فيها :

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال: «يا أيها الناس ، إن الله قد أذهب عنكم عُبيّة[1] الجاهلية وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان: بَرٌّ تقيٌّ كريمٌ علىٰ الله ، وفاجرٌ شقيٌّ هيّنٌ علىٰ الله ، والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب ، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣][2].

ثم التفت صلوات الله عليه إلىٰ أهل مكة ، وقد نكسوا رؤوسهم خوفاً من القصاص ، فقال لهم: «يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعلٌ فيكم؟».

قالوا: خيراً ، أخٌ كريمٌ ، وابن أخٍ كريم.

قال: «اذهبوا فأنتم الطّلقاء»[3].

وأرسل صلوات الله عليه إلىٰ صناديد قريش من أجل العفو والصّفح عنهم ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم الفتح ورسول الله ﷺ بمكة أرسل إلىٰ صفوان بن أمية بن خلف وإلىٰ أبي سفيان بن حرب وإلىٰ الحارث بن هشام ، قال عمر: قلتُ: قد أمكن الله منهم أعرفهم بما صنعوا حتىٰ

---

(١) أي: الكبر.

(٢) سنن الترمذي: ٥/ ٣٨٩.

(٣) سيرة ابن هشام: ٤/ ٣٢.

قال النبي ﷺ: «مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]».

قال عمر: فانفضحتُ حياءً من رسول الله ﷺ كراهيةً لما كان منّي، وقد قال لهم رسول الله ﷺ ما قال[1].

أجل يا نبيّ الرحمة يا رسول الله!

لا يعرف الحقد إلىٰ قلبك سبيلاً، ولا يستطيع الكبر أن يتسلّل إلىٰ كيانك، فأنت روح الوجود، تحرص علىٰ هداية الناس، وتعفو وتصفح عن المسيئين، فصلاة الله وسلامه عليك في كل وقتٍ وحين:

يا رب هبنا للنبيّ وهب لنا ... ما سوّلته نفوسنا تسويلا
واجعل صلاتك دائماً منهلّةً ... لم تُلف دون ضريحه تهليلا
ما هزّت القضبُ النسيم ورجّعتْ ... ورقاءُ في فنن الأراك هديلا

* * *

(١) طبقات ابن سعد: ٢/ ١٢١.